إهـــداء

إلى طه حسين عميد الأدب العربى الذى قال:

"إلى الـذين لا يعملـون.. ويـضيرهم كـثيراً أن يعمـل الآخرون"

د. سعيد اللاوندى

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

obeikandl.com

obeikandl.com

.. من طلب الحقيقة من الألفاظ هلك!.. هذه العبارة التي أطلقها يوماً الإمام أبو حامد الغزالي (حجة الإسلام في عصره) تكاد تصور -للأسف الشديد- واقعنا العربي الذي يعيش حالة من الكسل الفكري غير مسبوقة في تاريخه، فهو من ناحية ينقل نقلاً حرفياً المصطلحات الفكرية والكلامية دون إعمال للفكر أو التمحيص بحيث أصبح ضحية لهذه المصطلحات المشبَّعة بدلالات خطيرة باتجاه الكذب، وتزييف الواقع وتزوير الحقائق. فتجعل الحق باطلاً، والباطل حقا!.. ومن ناحية أخرى لم يحاول قط إدخال مصطلح عربي واحد إلى لغة "الآخر" سواء كان غربيا أو عبريا، واكتفينا بابتلاع المدسوسات في إعلامنا (وخطابنا الإعلامي على وجه الخصوص) بحيث أصبح عسيراً التمييز بين صحيفة يدعوت أحرونوت الإسرائيلية، والصحف العربية.. فالمصطلحات المستخدمة فيها جميعا أصبحت (واحدة) والمدلولات الموحية بها تكاد تكون متشابهة وهو ما يجعلنا نصرّ بأننا خسرنا -ولا نزال- نخسر معركتنا الإعلامية مع إسرائيل والغرب بشكل عام..

وليس من شك في أن الغرب يعرف جيداً خطورة الدور الذي يقوم به الإعلام (مقروءاً ومسموعاً ومرئياً) في فرض رؤاه، وقيّمه على الآخر، ولعل هذا ما كانت تعنيه مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة عندما قالت ذات مرة: إن شبكة C.N.N الأمريكية هي العضو السادس دائم العضوية في مجلس الأمن! والمحقق أن هذه السيدة لم تكن تعبث، كما لم تكن تلقى الكلام على عواهنه، وإنما كانت تدرك أن لوسائل (الميديا) من النفوذ والتأثير ما يفوق التصور.

.. والإنصاف يقضي بأن نعترف بأن هناك عشرات من الكلمات والأسماء والمصطلحات والأوصاف في العبرية والغربية قد تسللت إلى إعلامنا العربي سواء عن طريق استعارتها من الإعلام الصهيوني مباشرة أو نقلها نقلاً حرفياً (أعمى) عن الإعلام الغربي- الحاضن الرئيسي للإعلام الصهيوني.. ولاشك أن خلط المعاني وتشويه المصطلح يؤدي -إلى جانب نشره بين الناس- إلى خلط سياسي وتزوير

تاريخي.. وبالمجمل يؤدي إلى غزو ثقافتنا ولغتنا الأم وتشويه أهدافنا وقوميتنا ولغتنا ودیننا..

ويمكن القول إن وكالات الأنباء الغربية الكبرى تقوم -عن عمد مع سبق الإصرار- بإغراق الإعلام العربي بأخبار يتم اختيارها وصياغة مفرداتها وفقاً لمعايير اجتماعية وسياسية لا تراعي مصالح المجتمعات الموجهة إليها أو أولوياتها. ولكنها تحاول تمرير العبارات والمصطلحات ذات المضامين الفكرية والسياسية التي تراعي في الدرجة الأولى مصالح القوى والجهات الدولية التي تعمل على تدجين واحتواء الوطن العربي ثقافيا وسياسيا. ولعل أهم مؤشر على نجاح ذلك -للأسف- هو إقبالنا على استخدام هذه العبارات والمصطلحات وكأنها نابعة من ذاتنا، ومُعبّرة عن أفكارنا ومُترجمة لثقافتنا.. مع أن هذا ليس صحيحا بالجملة، لكن ما حيلتنا وإعلامنا العربي اعتاد -منذ بدايته- على أن يعيش عالة على الإعلام الخارجي؟!.. والحق أننا لكي نفهم أبعاد هذه الحرب -حرب المصطلحات والأفكار- التي انتصر فيها (الآخر) بامتياز، لابد أن نتوقف أمام أمر ينطلق منه الإعلام الغربي عن وعي وبصيرة وهو أن الرأي العام -هذا البحر الهادر من الكتل البشرية يمكن التحكم فيه وتشكيل توجهاته وصبّه في قوالب مُعدة سلفا كقوالب الشيكولاته... ويمكن تصنيعه بمواصفات مُحددة كحال أي سلعة قبل عرضها في الأسواق.. وهناك تقنيات شتى يبرع في استجدائها واستئناسها رجال السياسة في العالم بحيث تضمن لهم (رأياً عاما) سلساً ومُطيعاً وجاهزا لتصديق كل ما يُقال من أكاذيب وترهات وأضاليل وكم كان صائباً وزير خارجية ألمانيا الأسبق (يوشكا فيشر) عندما قال في صحوة ضمير نادرة: "عندما سنعرف الحقيقة يوماً -سوف نندهش كثيرا أنها أشد قسوة مما يمكننا تخيّله".. والحقيقة التي كان يعنيها يوشكا فيشر هنا هي حقيقة غزو أمريكا للعراق في عام ٢٠٠٣.

د. سعيد اللاوندى